المبحث الثالث

زيادة الايمان ونقصانه ورأي ابن عادل فيه

اولا : رأي المتكلمين

اختلف اهل الكلام في ذلك الى فريقين.

فذهب الاشاعرة والمعتزلة والمحكي عن الشافعي والكثير من العلماء كالغزالي وامام الحرمين الجويني والباقلاني ان الايمان يزيد وينقص[1].

وعند ابي حنيفة واصحابه وكثير من العلماء ان الايمان لا يزيد ولا ينقص[2].

الفريق الاول الذين قالوا بان الايمان يزيد وينقص:

وهم الاشاعرة والمعتزلة والمحكي عن الشافعي فقد استدلوا بادلة مقنعة وكثيرة من الكتاب والسنة وآثار الصحابة.

فاما من الكتاب فقد استدلوا بقوله تعالى: ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[5]، وقوله: ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾[6]، وقـــــــوله:

---

١ شرح المقاصد :٤٤٦/٣
٢ بحر الكلام :٨٤
٣ سورة الفتح ، الاية : ٤
٤ سورة الانفال ، الاية : ٢
٥ سورة التوبة ، الاية : ١٢٤
٦ سورة المدثر ، الاية : ٣١

﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

فهذه الايات تدل على ان الايمان قابل للزيادة واذا كان قابلا للزيادة فعدمت الزيادة كان عدمها نقصا.

قال الزمخشري : ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس ، لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل[2].

واما من السنة فالاحاديث كثيرة في هذا الباب:

قوله ﷺ : ((ان الايمان يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة))[3]، وقوله ﷺ : ((اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا))[4]، فدل الحديث على ان حسن الخلق كمال الايمان وان عدمه نقصان فيه ، وان المؤمنين متفاوتون في ايمانهم فبعضهم اكمل ايمانا من بعض.

وقوله ﷺ : ((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، وان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان))[5] ،

ومن اثار الصحابة التي تدل على زيادة الايمان ونقصانه منها ما روي عن زبيد عن ذر قال: كان عمر ﷺ ربما اخذ بيد الرجل والرجلين يقول تعالوا نزدد ايمانا.

---

١ سورة الاحزاب ، الاية : ٢٢
٢ ينظر الكشاف : ٣٠٤، للزمخشري.
٣ الحديث رواه ابن ماجه في سننه مختصرا، المقدمة ٩ في باب الايمان
٤ سنن ابي داود: ٦١٦/٦ رقم ٤٦٨٢ باب الدليل عن زيادة الايمان ونقصانه
٥ سنن الترمذي : ٤٦٦/٣ رقم ١١٦٢ ما جاء في حق المرأة

وما روي عن علي ﷺ : ان الايمان يبدأ لمظة بيضاء في القلب فكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض ، فاذا استكمل الايمان ابيض القلب كله وان النفاق يبدأ لمظة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق عظما ازداد السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله ، وايم الله لو شققتم عن قلب المؤمن لوجدتموه ابيضا، ولو شققتم عن قلب المنافق لوجدتموه اسودا، قال :واللمظة هي الذوقة، وهو ان يلحظ الانسان او الدابة شيئا يسيرا يتذوقه ، فكذلك القلب يدخله من الايمان الشيء اليسير ثم يتسع فيه فيكثر[1].

فكل هذه الادلة التي اوردناها هي دلالة على زيادة الايمان ونقصانه.

الفريق الثاني الذين قالوا ان الايمان لا يزيد ولا ينقص:

وقد اعتمدوا على ان الايمان تصديق والتصديق لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن به، لان التصديق اذا لم يكن على وجه التحقيق يكون على وجه الترديد والظن، والظن غير مفيد في مقام الاعتقاد عند ارباب التاييد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴾ [2] ، فالتحقيق ان الايمان لا يقبل الزيادة والنقصان من حيث اصل التصديق لا من جهة اليقين فان مراتب اهلها مختلفة في كمال الدين كما اشار اليه سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ

[1] ينظر : شعب الايمان : ٧٠/١
[2] سورة يونس ، الاية : ٣٦

إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾[1].

فان مرتبة عين اليقين فوق مرتبة علم اليقين وليس الخبر كالمعاينة[2].

وقد اول هذا الفريق الزيادة حيث قالوا المراد الزيادة على حسب الدوام وكثرة الازمان والاوقات ، قال امام الحرمين: النبي ﷺ يفضل من عداه باستمرار ودوام تصديقه وعصمة الله له من كل الشكوك، ولما كان التصديق من الاعراض والعرض لا يبقى زمانين كما هو مقرر، اذ يقع الايمان للنبي ﷺ متواليا اما بالنسبة لغيره ﷺفيقع على اوقات الفترات ، فثبت للنبي ﷺ اعداد من الايمان لا يثبت لغيره الا بعضها فيكون ايمانه اكثر والزيادة بهذا المعنى مما لا نزاع فيه[3].

ومما يقال : ان حصول المثل اليه بعدانعدام الشيء لا يكون زيادة فيه ، مدفوع بان المراد زيادة اعداد حصلت ، وعدم البقاء لا ينافي ذلك[4].

ومعنى قوله :وما يقال... الخ اذا قلتم انه يحصل لغير النبي ﷺ بمعنى يذهب ويجيء –لانه عرض– فاذا ذهب العرض ثم رجع لا تكون هناك زيادة وانما رجع على حاله فدفعه بان المراد زيادة اعداد تحصل مرة بعد اخرى.

فان اعترض على هذا التفسير بانه اذا ذهب فانه يزول الايمان ولا يبقى حينئذ فالجواب انه يذهب شدة وقوة اليقين ولا يذهب اهل الايمان الذي هو

---

١ سورة البقرة ، الاية :٢٦٠

٢ ينظر : بحر الكلام :٨٥ ،شرح المقاصد:٢١٢/٥ ، مجموع الفتاوى:٢٧٩/٧

٣ ينظر : الارشاد :١٦٠

٤ ينظر : شرح المقاصد :٢١٣/٥

التصديق واليه يقصد بقوله والذهاب والمجيء بمعنى عدم البقاء على حالة والثبوت والدوام لا ينافي ذلك اي على تفسير عدم البقاء لا ينافي تفسير الزيادة.

□

ثانيا : رأي ابن عادل في اتحاد الايمان والاسلام واختلافهما

يرى ابن عادل ان للايمان زيادة ونقصانا مستدلا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾[1]، فيقول : اي زادتهم تصديقا ويقينا ثم يذكر قول عمر بن حبيب لاصحابه: ان للايمان زيادة ونقصانا ، قيل فما زيادته قال: اذا ذكرنا الله وحمدناه فذلك زيادته، واذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه.

وذكر ايضا ما كتبه عمر بن عبد العزيز الى عدي بن عدي : ((ان للايمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا، فمن استكملها استكمل ايمانه ، ومن لم يستكملها لم يستكمل ايمانه))[2].

وبعد هذا العرض يتبين لي ان الامام ابن عادل ذهب الى ما ذهب اليه الفريق الاول الذين قالوا بزيادة الايمان ونقصانه وهو مذهب الاشاعرة والمعتزلة والمحكي عن الشافعي والكثير من العلماء.

والذي يبدو لي والله اعلم:

ان للايمان زيادة ونقصانا فان الايمان يزداد بالتقوى وينقص بالردى وارجح ما ذكره الفريق الاول في هذه المسألة الى ما اسندوا وساقوا الينا ادلة كثيرة ومقنعة من كتاب الله وسنة رسوله الكريم واثار الصحابة ﷺ.

---

١ سورة الانفال ،الاية : ٢
٢ اللباب : ٤٤٨/٩-٤٤٩